من تراث الجيلى

مراتب الوجود

وحقيقة كل موجود

للعارف بالله تعالى الإمام سيدى
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى
المتوفى سنة ٨٩٩هـ

مكتبة القاهرة
لصاحبها علي يوسف سليمان
الصنادقية ميدان الأزهر الشريف - القاهرة - مصر
ت: ٥٩٠٥٩٠٩٢ - ٥١٤٧٥٨٠
ص.ب: ٩٩٦٠ العتبة

من تراث الجيلي

مراتِبُ الوجُود

وحقيقة كل موجود

للعارف بالله تعالى الإمام سيدى
عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى
المتوفى سنة ٨٩٩ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة القاهرة
لصاحبها علي يوسف سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى يسر لنا هذا البيان تحت علم القرآن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصدر الخير والنور والرحمة المبعوث بالحق لجميع الخلق وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فيقول العبد الأحقر، احوج ما يكون مذنب لعفو ربه وافقر. بدوى بن طه علام، كان الله له ولوالديه وللمسلمين عونا مدى الأيام والأعوام، لما كانت خدمة الحقائق فرضا على كل ذى شعور صالح نحو دينه وأمته.

وكانت مؤلفات الامام العارف بالله سيدى عبدالكريم بن إبراهيم الجيلى الصوفى، هى خير ما ينتفع به ، حيث جمعت فأوعت من آيات العلم، والبينات المحكمات ما يجعلها مضيئة بمشارق الأخبار النبوية، والعلوم الروحية: آثرت أن انقلها من مرقدها إلى حيث النور والظهور، فتنهض لحفظها همم المحبين

للجناب الارفع، ويسعى لاقتنائها بخزانة الفكر أرباب الحال النير الألمع، وشاء الحق تبارك وتعالى أن تبرز إلى الوجود جوهرة ثمنية نادرة من مؤلفات الأمام الجيلى هو كتاب (نسيم السحر) بما يسره الله سبحانه وتعالى لنا بتوفيقه وكرمه الذى لم يقف بنا عند هذا الحد، وإنما زاد ذلك نعمة بإظهاره على يدينا تحفة أخرى من كنوز هذا العارف. وهو الكتاب الموسوم بـ « مراتب الوجود وحقيقة كل موجود » لكى يستفاد منه الشعور بإحساس إستغراق أهل الأذواق فى استجلاء مشاهد الوجود الكلية التى هى مظاهر الحق النسبية. المتجلية بالمشاهد الإمكانية فى عرصة الوجود الشهودى، فتنقاد الأفئدة لبواعث الاقتضاآت الإلهية، وتقع المسارة الربانية، بمعنى استشفاف أسرار التكوين من خلال الكونيات فإذا استجلى الإنسان معنى من معانى الوجود واستوضحه بمعونة من التوفيق الإلهى سمى هذا الحال مساررة، وهذه قد ينالها أرباب الاشتغال بالفكر والعلم النظرى، لكنها لاتساوى مساررة المحاضرة التى اختص الحق بها قوما اصطفاهم، وجعلهم من أهل الحضور معه، فشغلهم به عما سواه، وأدناهم من حظائر علاه، فكانوا له أمناء عل أسراره، وكان لهم معوانا

على الإرشاد والدعوة إليه بما الهمهم من قوانين التربية الروحية النافعة، وقواعد الرشد الصحيحة. وقد كان الإمام الجيلى علما من هؤلاء الرجال، وواحداً من ائمة الفكر الذين ظهروا فى بلاد المسلمين، فكانوا هداة لاجيالهم وللإنسانية من بعدهم، ولم يكن ليصل إلى هذه المرتبة من التغلغل فى أعماق الاشياء، والكشف عن ماهيتها، وينفذ ببصيرته إلى حقائق الحياة، والخليقة ونظامها من علائق الجماد والنبات والحيوان ووحدة الأنواع، وتنوع الأفراد، وبداعة الأجسام، وتناسب أجزائها، وتصوير الحكمة العجيبة فى مجموع الوجود، إلا بالعبادة لله الحق، وبالتقوى فى أكبر درجاتها، مما يجعله يحيا حياة تتسم بالهدوء والسعادة والاستقرار، وتمكنه من السيطرة على نفسه إلى حد أن تمتص روحه مادية جسده، ثم يتدرج بعد إنتفاء الإحساس بعواطفه، ثم بإرادته على الحركة، إلى أن يذوب نهائيا كفرد من البشر، ويندمج محبة وعبودية بالطاعة التامة لله. وهذه الرياضة، تعد بحق من أصعب الرياضيات الروحية، حتى أن الزمن لا يجود إلا بفرد واحد يتمكن من الوصول إلى مرتبة الكمال فى هذه الرياضة الروحية الشاقة التى يستطيع بعدها إذا نجح فى اجتياز عقبتها، أن يرجع إلى الحياة ويقوم بما

تتطلبه كإنسان مزودا بلذائذ من الروحانيات لا يعلم قدرها إلا الله، وهذا المقام، هو ما يعبر عنه (القوم) بمرتبة الصحو بعد السكر، او الجمع بعد الفرق، اى ان يكون العبد كاحسن ما يكون العبد ائتماراً بالاوامر الإلهية، وابتعادا عن النواهي، صالحا للدنيا والآخرة. وقد كان الأمام الجيلى رحمه الله، ذلك الرجل، يتلقى المدد الروحى من الفيض الإلهى، حتى اصبح كائنا روحانيا تخضع له عناصر الطبيعة. ويسيطر بروحه على المادة فى شتى صورها، وذلك نوع مما يكرم الله به عباده، حتى لتظل الكرامة من الله لوليه، باقية بعد موته، وهى خلود الذكر، والإثابة على كتب العلم النافعة، مصداقا لقول الرسول (ينقطع عمل ابن آدم، إلا من ثلاث، حسنة جارية، وكتاب علم ينتفع به وولد صالح يدعو له): فهذا سيدى القارئ كتاب علم (بمراتب الوجود وحقيقة كل موجود) وهو واحد من الكتب العالية النادرة التى ابدعها قلم هذا الإمام الصوفى والتى منها كتاب (المناظر الإلهية) و(قاب قوسين) جزى الله الإمام الجيلى عن المسلمين ومحبى المعرفة خير الجزاء.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبى الله وكفى

منزلة العلم بالله تعالى

الحمد لله الذى أعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال فظهر فيها بما علمه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والاعتدال، فليس فى الإمكان اكمل من هذا الوجود النائل من الكمال كل مثال. احمده به على ماله من شيم المجد والجلال حمد من تحقق ما لذاته من صنوف الوجوب والإمكان والمحال.

وأشهد ان لا إله إلاالله الكبير المتعال الظاهر بكل موجود بكماله من غير حلول ولا اتصال ولا انفصال ظهور بلا كيف يصوره العقل ويحيط به الخيال، وأشهد ان سيدنا محمداً ﷺ مظهره الأعظم ومجلاه المحيط الأقدم ورسوله الختم الأكرم ﷺ وعلى آله وصحبه طراز الوجود المعلم وشرف وعظم ومجد

وكرم.

أما بعد فإن أولى ما اعتنى به العقلاء وأعز ما صرف العمر فى طلبه الفضلاء هو العلم بالله، وإنه لكثرة اتساعه وعظم شياعه لا يكاد المرء يبلغ من تداركه مقصوداً ولو كان بجميع الإمدادات ممدوداً، وإن القوم المشار إليهم بهذا العلم رضوان الله عليهم إنما أخذوا منه طرفا، كل على قدر قابليته و قبول الفيض المقدس والأقدس من حضرة التجلى والتحقق بحقيقة الإنصاف والتحلى مع التأييد الإلهى بروح القدس لدى الإلقاء والتلقى، حتى أنهم مع دوام النفحات وتواتر الخيرات لم يزالوا يطلبون العلم من بعضهم بعضا ويسيحون فى الأرض للوقوع على رجل منهم؛ ليفيدهم فيه مسالة طولا وعرضاً، ولهذا قال الجنيد – رضى الله عنه – لو علمت أن تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لرحلت إليه، تنبيهاً على شرف هذا العلم وأنه مما ينبغى للمريد أن يرحل إليه بل يجب عليه.

توجيه الدفاعى إلى العناية بالعلم بالله تعالى

وقال الشيخ أحمد الرفاعى – رضى الله عنه – لتلامذته

تعلموا هذا العلم فإن جذبات الحق فى زماننا قلّت، يريد بالجذبات المجذوبين، يعنى ان المجذوبين قلّوا فى الزمان وسبب قلّتهم عدم تعرض أهل الزمان لنفحات الرحمن.

وإن شئت قلت عدم التحلى لقبول فيض التجلى.

ثمرة أعمال أهل الله تعالى

وقد يكون قصد الشيخ بقلّة الجذبات قلّة ظهورها على اهل الزمان لا لكونها قليلة فى نفس الأمر، لأن الله تعالى لم يزل متجليا بجميع تجلياته مفيضا على خلقه بمقتضيات اسمائه وصفاته، ولقد بلغنى عن شيخى الشيخ إسماعيل الجبرتى - رضى الله عنه - انه قال يوما لبعض إخوانى من تلامذته عليك بكتب الشيخ محيى الدين بن العربى. فقال له التلميذ يا سيدى إن رأيت أصبر حتى يفتح الله على به من حيث الفيض. فقال له الشيخ إن الذى تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ لك فى هذه الكتب ، هذا كلامهم - رضى الله عنهم - للتلاميذة والإخوان إنما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم وتسهيل الطريق الصعب عليهم، لأن المريد قد ينال بمسالة من

مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة، وذلك لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعلمه، والعلوم التى وصفها الكمل من أهل الله تعالى هى ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص، بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنها بالفيض الإلهى الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، فكم بين قابلية الكامل من أهل الله وبين قابلية المريد الطالب، فإذا فهم المريد الطالب ما قصده من رضع المسألة فى الكتاب وعلمه، استوى هو ومصنفه فى معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وصارت له ملكا مثل ما كانت للمصنف. وهكذا كل مسألة من مسائل العلوم الموضوعة فى الكتب فإن الآخذ لها من المعدن الذى أخذ منه مصنفها.

نتيجة مطالعة كتب الحقيقة

وما ورد عن بعض أهل الله من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة؛ لأن قاصر الفهم لا يخلو إما أن يتناول كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمله فيهلك، أو يضيع العمر فى تصفح الكتب بلا فائدة، فنهى الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه

الكتب واجب ليشتغل بغيرها مما فيه نفعه.

وأما من كان ذا عقل ذكى وفهم علىّ، وإيمان قوى، يأخذ من كتبنا كل ما يأخذه وينال منها كل مقصده، ولقد رأيت فى زماننا هذا طائفة كثيرة من كل جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك، وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال. فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه وفضله سلوكًا واجتهاداً صار من الكمل، ومن وقف بعد علمه كان من العارفين.

علم اليقينى وعين اليقين وحق اليقين

وسبب ذلك أن المسائل الموضوعة فى كتب أهل الحقيقة إنما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحاً، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحاً، وبضرب الأمثال حق التوحيد رمزا وتسنحيا، فقد يكون بعض الكتب مسبوكا على هذه الهيئات كلها، فيدخل بك إلى علم اليقين فإن علمت بمقتضاه، ولازمت مطالعة ذلك الكتاب على حكم ذلك العلم فإنه ينتقل

بك إلى عين اليقين ، ثم يرقيك إلى حق اليقين إن أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ما ذكره المؤلف، وإلا فهو مهلك وانتهاك . فإذا بلغت إلى حق اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك، وهذا منتهى ما تبلغ بك الكتب إليه إن كنت شهماً. وحويت تمييزاً وفهماً.

وأما حقيقة اليقين فلا تستفاد من الكتب بنوع من الأعمال البتة، لأنه فى الأصل لا يدخل تحت الإفادة الكونية بحال فهو أمر وهبى فوق المدارك العلمية والعينية والذوقية يمنحه الله من يشاء من أهله، ولعلك تقول إن كان لابد من الانقطاع بعد فائدة الكتب فى آخر الأمر، فإذاً أتركها فى أول الأمر وارجع إلى ما ترجع إليه.

مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين

فأقول لك : إن المراتب المشار إليها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، التي ذكرنا عنها أنها منتهى فائدة الكتب

لا يكاد ان يصل إليها، بل ولا إلى اقلها باجتهاد العمر كله، فإني قد رايت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة هذه الكتب في الأيام القليلة ما لم يبلغه رجال باجتهاد اربعين وخمسين سنة على انهم قد كانوا سبباً لدخول أولئك الصبيان إلى الطريق، ولكنهم لما وقفوا مع سلوكهم وسار أولئك الصبيان في مطالعة كتب الحقيقة وفهمها، وتاخروا عن مداهم صار الصبيان شيوخا في الحقيقة والشيوخ لهم صبياناً حتى انشد منشد فقال:

وقد تبنيت آبائي على ثقة ولا محالة اني وجه كل اب

وهذا البيت لرجل من تلامذة شيخ لم نعلم له شيئا من اعمال الطريق سوى مطالعة كتب الحقيقة حتى بلغ من هذا العلم ما سبق به كثيراً من السابقين واسمه ابو بكر بن محمد الحياك له نظم كثير في علم الحقيقة. فمن وقف على ديوان شعره وعرف مقداره حظي بطائل.

وإنما اوردت لك هذه الحكايات كلها في ديباجة هذا الكتاب حتى افهمك قدر هذا العلم و علو شانه؛ لترغب في تحصيل

هـذا النص الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستهاومذاكرتها مع أهلها حيث كانوا؛ فإن الرجل منهم قد يفيدك بكلمة ما لا يفيدك الكتب كلها فى العمر كله، لانك تاخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا ارادك لفهم مسالة على ما هى عليه اعطاك فهمه فيها، وكم بين فهمك وفهمه، ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين افضل من اعمال السالكين، ومجالسة اهل الله مع التادب معهم افضل من مطالعة الكتب كلها، فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة فى كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها؛ فإنك تحصل بذلك إلى مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك إن شاء الله تعالى.

من عرف الوجود عرف الموجد

واعلم أن معرفة الله تعالى منوطة بمعرفة هذا الوجود، فمن لا يعرف الوجود لم يعرف الموجود سبحانه وتعالى، وعلى قدر معرفته لهذا الوجود يعرف موجده.

أصول مراتب الوجود

ثم اعلم ان لهذا الوجود اموراً حقية واموراً خلقية فمنها

امور كلية، و أمور جزئية سنذكرها ، ومنها امور صورية وأمور معنوية وتتفرع تلك الأقسام والأنواع حتى تكاد أن تخرج عن الإدراك والإحصاء مطلقاً، ولكن جميعه محصور تحت (اربعين مرتبة) من مراتب الوجود، وهى أمهات المراتب كلها فإن مراتب الوجود كثيرة لا تحصى، لكن هذه (الاربعين مرتبة)

التى نذكرها تشمل الجميع وتحصيها . وبين كل مرتبة من هذه المراتب المذكورة وبين الأخرى مراتب كثيرة لكنها تدخل تحت احكامها، ولاجل ذلك اقتصرنا على ذكر الاربعين لأنها اصول، وها اناأذكرها لك فى هذا الكتاب مرتبة فى محلها إن شاء الله تعالى، لتعرف الوجود بمعرفة هذه المراتب، والله تعالى الموفق للصواب وهو الهادي وعليه التكلان، وله الأملا ومنه التلقى وإليه الترقى وبه أكتفي وهو حسبى .

المرتبة الأولى: الغيب المطلق

من مراتب الوجود هى الذات الإلهية المعبر عنها ببعض وجوهها بالغيب المطلق وبغيب الغيب لصرافة الذات المقدسة عن سائر النسب والتجليات ولهذا عبر عنها القوم بالذات الإلهية الساذج إذ كلت العبادات دونها، وانقطعت الإشارات

قبل الوصول إلى سرادق حرمها، ومن هنا سميت بمنقطع الإشارات بمجهول الغيب.

وكذلك سماها بعض العارفين بالعدم المقدم على الوجود يريد بذلك عدم لحوق النسبة الوجودية بمطلق الصرافة الذاتية التي علت على النسبة وغيرها، لايريد بانها عدمه، اى بمعدومة فوجدت، بعد ذلك فحاشا وكلا، بل لكونها حقيقة الوجود البحت التي هي ظلمة الأنوار فيها اى مجهولة من كل الجهات لا سبيل إلى معرفتها بوجه من الوجوه.

ولهذا سماها رسول الله ﷺ بالعما، لما قال له السائل أين كان الله، وفي رواية أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال رسول الله ﷺ في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء يعني ما فوقه نسبة ولا صفة كما أشرنا لك فيما تقدم.

ولهذا قالت الطائفة إنه المسكوت عنه ومن ثم لا يدخله بعض المحققين في مراتب الوجود فيقول إنه أمر من وراء الوجود، ولهذا يجعل بعض المحققين مرتبة العلماء من مراتب الربوبية نظراً إلى سؤال السائل حيث قال أين كان ربنا؟ فيجعل العما

بعض مرتبة الربوبية، يجعل الأولى مرتبة الربوبية، ونحن لا نريد بهذا التجلى ذلك العماء بل ما أشرنا إليه مع قبول قوله ومن فهم قوله وقولنا قال بالتوافق في الوجود البحت.

المرتبة الثانية : الوجود المطلق

من مراتب الوجود هى أول التنزلات الذاتية المعبر عنها بالتجلى الأول وبالأحدية وبالوجود المطلق. وقد ألفنا لمعرفة الوجود المطلق كتاباً سميناه الوجود المطلق المعرّف بالوجود الحق فمن أراد ذلك فليطالعه هناك، وهذا التجلى الأحدى هو أيضاً حقيقة صرافة الذات، لكنه أنزل من المرتبة الأولى، لأن الوجود متعين فيه للذات، والتجلى الأحدى العماء الأول يعلو عن مرتبة نسبة الوجود إليها وقد بينا سبب ذلك ووجهه فى كتابنا المسمى بالكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية، فمن أنكر معرفة ذلك فيطالع هنا ولنقتصر هنا على ذكر نفس المرتبة إذ ليس الغرض من إنشاء هذا الكتاب إلا جمع مراتب الوجود.

واعلم أن هذا التجلى الأحدى هو رابطة بين البطون والظهور، يعنى يصلح أن يكون أمراً ثالثاً بين البطون والظهور

ـما نرى في الخط الموهوم بين الظل والشمس، ولهذا يسميه
ـقفون بالبرزخية الكبرى فالاحدية برزخ بين البطون والظهور
ـلك هو عبارة عن حقيقة الحقيقة المحمدية التى هى فلك
ـلاية المعبر عنها بمقام قوسين أو أدنى وبالعلم المطلق وبالشأن
ـرف وبالعشق المجرد عن نسبة العاشق والمعشوق، وكذلك
ـ ولهم فيه العلم المطلق يريدون به من غير نسبة إلى العالم
والمعلوم، وقولهم فيه الوجود المطلق يريدون به من غير نسبة قدم
ولا إلى حدوث. فافهم فذلك عبارة عن أحدية الجمع بإسقاط
جميع الاعتبارات والنسب والإضافات وبطون سائر الاسماء
والصفات، وقد يسميه بعضهم بمرتبة الهوية لأنها غيب الأسماء
والصفات فى الشأن الثانى المخصوص بالذات.

المرتبة الثالثة : الواحدية

من مراتب الوجود هو التنزل الثانى المعبر عنها بالواحدية
ومنها تنشأ الكثرة بداية وفيها تنعدم الكثرة وتتلاشى نهاية
لانها ذات قابلة للبطون والظهور فيصدق عليها كل واحد من
هذين الشيئين وفيها تظهر الاسماء والصفات وجميع المظاهر
الإلهية بالشأن الذاتى لا بشئونها فيكون فيها كل واحد عين

الثاني كما بيناه في غير موضع من مؤلفاتنا، ولهذا يسمى المحققون هذه المرتبة بالعين الثابتة وبمنشئ السوى وبحضرة الجميع والوجود وبحضرة الأسماء والصفات.

المرتبة الرابعة: الظهور الصرف

من مراتب الوجود هى الالوهية وهى عبارة عن الظهور الصرف وذلك هو إعطاء الحقائق حقها من الوجود، ومن هذه الحضرة تتعين الكثرة فليس كل من المظاهر فيها عين الثانى كما هو الواحدية، بل كل شيء فيها متميز عن الآخر تميزا كليا ومن هنا سميت بنشأ الكثرة الوجودية وحضرة التعينات الإلهية وحضرة جمع الجمع ومجلى الأسماء والصفات والحضرة الاكملية ومرتبة المراتب سميت بهذا الاسم لان المراتب كلها تتعين وتظهر فيها بحكم التمييز، وهى المعطية لكل من الاسماء والصفات والشئون والاعتبارات والإضافات حقها على التمام والكمال.

المرتبة الخامسة: الوجود السارى

من مراتب الوجود هى الرحمانية المعبر عنها بالوجود السارى

الذى أشار إليه رسول الله ﷺ بنفس الرحمان، وهذه هى الحضرة الرحمانية التى فيها يتم الكثرة الكونية والإلهية، ورحمتها التى وسعت كل شىء فوسعت الكثرة الإلهية التى هى الأسماء والصفات وإظهار آثارها ووسعت الكثرة الكونية التى هى المركبات بترجيح وجودها على العدم حتى أوجدت فعمت الجميع بالرحمة ولهذا قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

المرتبة السادسة: الربوبية

من مراتب الوجود هى الربوبية، وفيها يتعين وجود العبودية ويظهر موقع الجلال والجمال لتأثير الهيبة والأنس، وهى الحضرة الكمالية والمنصة العظموتية، وهى المجلى الأقدس المحيط بالنظر القدسي والمشهد المقدس، وإليها ترجع أسماء التنزيه وبها تتخصص التقديس، وهى المعبر عنها بحضرة القدس، ومن هذه الحضرة أرسلت الرسل وشرعت الشرائع وأنزلت الكتب وتعينت المجازات إما بالنعيم للمطيع وإما بالعذاب للعاصى، وهى محتد الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث النبوة والرسالة لا من حيث حقائقهم، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة

والسلام لربه عز وجل رب أرنى كيف تحيى الموتى، وقال موسى صلى الله عليه و سلم رب ارنى انظر إليك، قال تعالى عن سيدنا محمد ﷺ لقد رآى من آيات ربه الكبرى فمرجع النبوة والرسالة إلى الربوبية ولها التعالى المطلق.

ولهذا قال تعالى لموسى عليه السلام لن ترانى؛ لأنه خاطبه فى تجلى الربوبية، فلو خاطبه فى تجلى الرحمانية او تجلى الالوهية أو الوحدانية لما كان يقع المنع ابداً؛ لأن الرحمانية لها الوجود السارى وهى عين كل أمرئ، والألوهية لها الجمع فهى شيء وعين كل الأشياء، والواحدية كذلك، لكن لما خاطبه فى تجلى الربوبية بقوله رب إرنى أنظر إليك قيل له لن ترانى لأن الربوبية من شانها التقديس والتعالى والتنزيه عن لحوق هذه الأشياء بها فطلب العبد من ربه رؤيته سوء أدب منه بالنظر إلى محل العبودية والربوبية لا بالنظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام فإنه أكمل الأدباء لكنها حضرت اقتضت أمور هذه الشئون وجرى بها القدر على حسب الإرادة الإلهية. فافهم.

ولهذا لما تجلى سبحانه وتعالى على الجبل بصفة الربوبية تدكدك الجبل وخر موسى صعقا اى فانيا فلو تجلى عليه بصفة

الرحمانية لابقاه به ولم يتاثر الجبل. فافهم، والله تعالى أعلم.

المرتبة السابعة: المالكية

من مراتب الوجود هى المالكية وهى حضرة نفوذ الامر والنهى لان الملك حاكم على ملكه لا يستطيع من فى مملكته ان يرد امره او نهيه، ومن هذا التجلى قوله تعالى للشىء كن فيكون، لان المملوك طارع مالكه، والفرق بين امره الوارد من حضرة الربوبية فيه نوع من التربية، ولهذا جاء على ايدى الواسطة التى هى عبارة عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فامكن العبد فيه المخالفة والطاعة بخلاف الأمر الوارد من الحضرة الملكية فإنه لا يمكن فيه المخالفة البتة؛ فلاتقول لشىء كن كذا إلا كان على ذلك الوصف، ولهذاكان الأمر بغير واسطة لان امره نافذ على كل مامور، ومن هذه الحضرة تاخذ الاسماء والصفات المؤثرة فى الاكوان آثارها فهى السيدة على الاسماء والصفات فاول ما اخذت منها الصفات النفسية حقها.

المرتبة الثامنة: الأسماء والصفات النفسية

من مراتب الوجود هى الاسماء والصفات النفسية وهى على

الحقيقة أربعة لا يتعين لمخلوق كمال الذات إلا بها وهى الحياة لأن كل ذات لا حياة لها ناقصة عن جد الكمال الذاتى، ولهذا هنا ذهب بعض العارفين إلى أن الاسم الأعظم هو اسمه الحى، ثم العلم؛ لأن كل حى لا علم له فإن حياته عرضية غير حقيقة فالعلم من شرط الحى الذاتى لأن كمال الحيوة به، ولهذا كنى عنه تعالى الحيوة فقال أو من كان ميتا يعنى جاهلا فاحييناه، يعنى علمناه، وقدمت الحياة على العلم لأنه لايتصور وجود عالم لا حياة له فالحياة هى المقدمة الصفات النفسية كلها ولهذا سميت الحيوة عند المحققن أمام الأئمة، يريدون بالائمة الصفات النفسية كلها لأنها ائمة باقى الصفات إذ جميعها تدخل تحت حيطة هذه الأئمة، ثم الإرادة لأن كل حى لا إرادة له لا يتصور منه إيجاد غيره، والحق سبحانه وتعالى موجد الأشياء كلها فهو المريد، وبالإرادة تتخصص الاشياء ويترجح جانب الوجود على جانب العدم فى الممكن.

ثم القدرة لأن كل من أراد شيئا ولم يقدر على فعله فهو عاجز والحق تعالى يتعالى عن العجز، فهو القادر المطلق وهذه الأربعة هى أمهات الأسماء وهو التجلى الثانى وهو مفاتح الغيب

وبه يتم تعلقنا بكمال الذات فان من كان ذا حياة وعلم وإرادة وقدرة كان كاملا فى وجوده وإيجاده لغيره.

وأما اسمه السميع ثم البصير فمالنا فى إضفافتهما إلى الصفات النفسية إلا ورود الكتاب والسنة فيهما، ولأن العلم فى المخلوق يتسفيده بالسمع والبصر زيادة وكماله في حق المخلوق بوجود السمع والبصر فنسبوهما إلى الصفات النفسية الحقية لاعلى أن علمه تعالى يجوز فيه الزيادة والنقصان بل على حكم كمال الغائب بما حكم به فى كمال الشاهد.

وأما اسمه المتكلم فهو ما ورد به الكتاب من مفهوم قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فربط الحق تعالى التكوين لقول فتعين أن هذا الاسم والصفة من الصفات النفسية لان به كمال وجود فى نفسه وإيجاده لغيره، فصارت جملة الأسماء النفسية سبعة، وبعضهم يجعلها ثمانية بالبقاء لأن البقاء من جملة كمال الذات الكاملة فى وجودها وإيجادها لغيرها فإنها ما لم تكن باقية لا يتصور إيجادها لغيرها. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

المرتبة التاسعة : حضرة الأسماء الجلالية

من مراتب الوجود هى حضرة الأسماء الجلالية كاسمه الكبير و العزيز والعظيم والجليل والماجد إلى غير ذلك من الأسماء الجلالية، وقد ذكرناجميع الأسماء والصفات فى كتاب (شمس ظهرت لبدر قمرهى) وهو الجزوء الرابع من أربعين من كتاب القاموس الأعظم والناموس الأقدم وهو ذا بأيدينا اليوم والمرجو من الله تكميله فلنكتف من ذكر تفصيل الأسماء كانت جمالية أو جلالية أو فعلية.

المرتبة العاشرة : حضرة الأسماء الجمالية

من مراتب الوجود، وهى حضرة الأسماء الجمالية كاسمه الرحيم والسلام والمؤمن واللطيف إلى غير ذلك من الأسماء الجمالية ويلحق بها الأسماء الإضافية وهى الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد.

المرتبة الحادية عشر : حضرة الأسماء الفعلية

من مراتب الوجود، هى حضرة الأسماء الفعلية وتنقسم هذه الأسماء إلى قسمين قسم هى الأسماء الفعلية الجلالية كاسمه

المميت والضار والمنتقم وأمثالها، وقسم هي الأسماء الفعلية الجمالية كالمحيي والرزاق والخلاق إلى غير ذلك من الاسماء الفعلية الجمالية. فافهم.

المرتبة الثانية عشر: عالم الامكان

من مراتب الوجود. هي عالم الإمكان فإن التجليات الفعلية آخر التنزلات الإلهية الحقية والعقل الاول أول التنزلات الإلهية الخلقية، فالإمكان مرتبة متوسطة بين الحق والخلق لانه أعني الإمكان لا يطلق عليه العدم ولا الوجود لما فيه من قبول الجهتين فإذا تعين ممكن من عالم الإمكان نزل وظهر إلى العالم الخلقي، وهكذا ما ليس بمتعين فانه باق على إمكانه، فعالم الإمكان برزخ بين الوجودين أعني وجود القديم ووجود الحدث وسببه انه لا يصح وقوع اسم العدم على الممكن من كل جهة اللهم إلا بنسبة ما، فيصح عليه من مقابلة تلك النسبة اسم الوجود أيضا فلا وجود ولا عدم فهو مرتبة متوسطة بين الوجود الحقيقي والمجازي إذ العدم عند المحققين عبارة عن الخلق والوجود عبارة عن الحق والخلق معدوم والحق موجود والممكن متوسط بين المرتبتين، فالموجود المطلق الذي ليس بمعقود ولا معدوم ولا

متلاش ولا الملك هو الله تعالى عن أوصاف المحدثات.

واعلم أن حضرة الحق هى حضرة الجمع لأنها جامعة لحضرات الجمع والوجود والكشف والشهود ولهذا قيل إن التحقيق والوصول غير المتوهم والمعقول والدليل والبرهان عين الكشف والعيان والكل. فافهم.

المرتبة الثالثة عشر: العقل الأول

من مراتب الوجود. هى العقل الأول قال ﷺ أول ما خلق الله العقل: الحديث، والعقل هو القلم الأعلى. قال ﷺ أول ما خلق الله القلم: الحديث، القلم هو الروح المحمدى، قال ﷺ أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر. فعلم بهذه الأحاديث الثلاثة أن العقل والقلم الأعلى والروح المحمدى عبارة عن شيء واحد قد أودع الله تعالى جميع العلوم فى العقل الأول، وإن شئت قلت فى القلم الأعلى، وإن شئت قلت فى الروح المحمدى، فالعلوم فى العقل الأول مجملة كإجمال الكلام فى الفؤاد وهى مفصلة فى النفس الكلى تفصيل الكلام على اللسان. كما قال الشاعر:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وأعلم أن العقول العشرة أعلاها العقل الأول وأدناها العقل الفعال وكلها مندرجة موجودة اليوم فى ذات النفس الكلية ولكل من المعقول والنفوس الكلية فيك نسخة كاملة فميزهاترشد إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا فى كتاب الإنسان الكامل تقسيم العقول الظاهرة فى الإنسان وحصرناها على العقل الأول، والعقل الكلى، والعقل المعاشى، والعقل الضرورى وبينا الفرق بينها بحدودها فلنقتصر هنا على ما ذكرنا والله تعالى أعلم.

المرتبة الرابعة عشر: الروح الأعظم

من مراتب الوجود هى الروح الأعظم، وهى النفس الكلية، وهى اللوح المحفوظ المعبر عنها بالإمام المبين وبإمام الكتاب فالعلوم الإلهية متبسطة فى النفس ظاهرة فيها ظهور الحروف الرقمية فى الورقة واللوح وهى مندمجة مندرجة فى العقل اندراج الحروف فى الدواة، فالعقل هو أم الكتاب بهذا الاعتبار والنفسى الكتاب المبين، كما أن القلم الأعلى هو أم الكتاب

واللوح المحفوظ الكتاب المبين، كما أن العلم الإلهى هو أم الكتاب، فالوجود باسره بهذا الاعتبار هو الكتاب المبين، كما أن الذات الإلهية من وجه هى أم الكتاب، والعلم الإلهى هو الكتاب المبين. فتأمل هذه الإشارات وافهم مواقعها منك فيك تفز بسر القدر والله تعالى الهادى.

المرتبة الخامسة عشر : العرش

من مراتب الوجود. هى العرش وهو الجسم الكلى، فالعرش للعالم بمنزلة هيكل الإنسان للإنسان محيط بجسمانيته وروحانيته وظاهره وباطنه، ولهذا سمته الطائفة بالجسم الكلى، فكما أن الروح مستوية أو مستولية على البدن من غير تخصيص لها بموضع دون موضع من هيكل الإنسان فكذلك الموجود وجود العرش سار فى الموجودات محيط بجميع العالم مستو على جزئياته وكلياته، وذلك هو النفس الرحمانى والاستواء الرحمانى لمن فهم بغير حلول، فالوجود باسره للحق كالصورة للروح، وقد بيناه فى كتاب بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم من هذا العلم ما فيه غنية من التكرار.

واعلم أن القلب عرش الله عز وجل والعالم كله عرش الرحمن

وبين العرشين ما بين الاسمين.

وقد بينا ذلك في كتابنا الموسوم بالإنسان الكامل فمن أراد استقصاء علم ذلك فليطالع هناك ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

المرتبة السادسة عشر : الكرسى

من مراتب الوجود. هى الكرسى وهو عبارة عن مستوا الفعلية، وماورد فى الحديث من أن رجلى الحق متدليتين على الكرسى، فأحد رجليه عبارة عن النهى والأخرى عن الأمر، والكرسى من هيكلك نفسك الناطقة القائمة ببدن جسمك منها تنشأ الأسماء الفعلية لك، لأنها تطلب حصول الملائم ودفع غير الملائم، وذلك عبارة عن النهى والأمر باقتضاء الجزئية، وذلك باقتضاء الكلية، وجميع ما شرحناه أولا وآخرا فانظر إليك فما أكمل ذاتك، تعالى الله الكامل سبحانه.

المرتبة السابعة عشر : عالم الارواح الفعلية

من مراتب الوجود. هى عالم الارواح العلوية وهم الملائكة المهيمة فى جلال الله وجماله الحافون بالعرش وأهل المجالسة

والمحاضرة الإلهية، وهم المعبر عنهم بعالم الجبروت وعالم المعانى، ليسوا من العناصر والطبائع دون سائر الملائكة، فإن الباقين مخلوقين من الطبائع، وملائكة كل سماء مخلوقون من طبيعة سماهم، وهؤلاء الملائكة هم اشرف خلق الله تعالى وكلهم مقربون قربة خصوصية. خلقهم من نور وحدانيته لكن كل واحد من محتد اسم من أسمائه وصفة من صفاته بأعتبار التجلى الواحدى، وقد ذكرنا أسماءهم وحالاتهم ومحاتدهم ومشاهدتهم فى كتابنا المسمى بكتاب الألف وهو الجزء الثانى من تجزية ثلاثين من كتاب حقيقة الحقائق التى هى للحق من وجه ومن وجه للخلائق، فمن أراد معرفتهم فليطالع فى الكتاب المذكور.

المرتبة الثامنة عشر: الطبيعة المجردة

من مراتب الوجود. هى الطبيعة المجردة على لباس الاستقصات والأركان التى خلق الله تعالى العالم فيها وهذه الطبيعة للاستقصات كالمداد للحروف الرقمية وكالصوت للحروف اللفظية، ونعنى بالاستقصات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بحكم انفراد كل واحد منها عن الآخر وهذه الاستقصات للأركان كالطبيعة للاستقصات فالاستقصات

جميعها موجودة في كل ركن من الأركان، لكن النار يغلب فيها استقصان وهما الحرارة واليبوسة، والهواء يغلب عليه استقصان وهما البرودة واليبوسة فمتى لبست الطبيعة صورة استقصى من الاستقصات لا يمكن خلعها، ومتى لبست الاستقصات صورة ركن من الأركان لايمكن خلعها، ومتى لبست الأركان صورة من صور الموجودات العنصرية لا يمكن خلعها فيبقى ذلك الموجود موجودا بعد فناء ظاهره في الطبيعة يشاهدها المكشف عيانا كما كان يشاهدها الناس في الحس.

وهذا الفلك الطبيعي واسع جدا خلق الله تعالى فيه الجنة والنار والمحشر والبرزخ وجميع ما في الدنيا وما هو قبل خلق الدنيا مما علمنا وما لا نعلمه من المخلوقات الطبيعية، وظاهره المحسوس لنا اليوم هو العالم الدنياوى وباطنه الغائب عنا هو العالم الأخراوى، وقابلية البطون والظهور هو البرزخ وهو عالم الخيال وعالم المثال وهو عالم السمسمة، فنسخة الدنيا منك ظاهرك من الجوارح وغيرها، ونسخة البرزخ منك خيالك، ونسخة الآخرة منك العالم الروحي وهو باطنك. وقد شرحنا أمر كونك نسخة للموجودات في كتابنا المسمى بقطب العجائب وفلك الغرائب.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

المرتبة التاسعة عشر : الهيولى

من مراتب الوجود . وهى الهيولى ، وهى حضرة التشكيل والتصوير تتولد هذه الصور منها كما تتولد الأمواج فى البحر، فإذا اقتضت الهيولى صورة من صور الوجود كان حتما على الطبيعة إبرازها فى العالم بالقدرة والإرادة الإلهية لأن الله تعالى جعل اقتضاء الهيولى سببا لإيجاد تلك الصورة كما جعل دعاء المضطر سببا لإجابته تعالى، فقال تعالى « أمن يجيب المضطر » فاقتضاء الصورة من اليهولى دعاء لسان الحال لوجود ما اضطرت إلى وجوده وهى الصورة التى تعينت فى اليهولى وتقدير الحق على الطبيعة بإيجاد تلك الصورة هى الإجابة الإلهية، فالهيولى بالنسبة إلى الصورة والأشكال كالماء للأشجار يتغير بحسب كل شجرة وثمرتها، قال الله تعالى « تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » فالماء أصل لجميع النباتات فى ذواتها غير متميزة بعض عن بعضها بالفضل والطعم والقدر والقدرة والثمر والحسن والقبح إلى غير ذلك من الأمور التى تتميز بها الأشياء بالفضل بزيادة الحل والقيمة والنفع والطهارة واللطف، فكما أن النباتات صور للماء كذلك الصور

كلها صور حقيقة الهيولى وتمامها بتمام الصور وليس للصور آخر فليس لها نهاية فهى تحت الطبيعة لان اقتضاها إنما هو بحكم الطبيعة، فافهم.

المرتبة العشرون : الهباء

من مراتب الوجود هي الهباء، وهو مكان حكمى لا وجودى أوجد الله العالم فيه، وأمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أول من سمى هذا الهباء الذى هو مكان العالم. قلت لك: او ليس الله قد خلق العالم والعالم بأجمعه اسم لما سواه، فإن كان أوجده الله فى نفسه كانت نفسه محلا للحوادث تعالى عن ذلك، وإن كان أوجده فى مكان مخلوق كان ذلك المكان من جملة العالم، فما بقى إلا ان نقول أوجده فى مكان حكمى غير وجودى؛ حتى يخرج ذلك المكان عن حد العالم ويخرج عن ان يكون ذات الحق تعالى، فافهم. هذا وجه إثبات هذا الفلك الهبائى بطريق رأى العقلاء والنظر، وأما عندنا فهو سبحانه أوجد العالم من علمه إلى عينه وعلمه عينه وعينه ذاته، والمراد من قولى أوجد العالم من علمه إلى عينه هو عبارة عن إضافة الحق تعالى نسبة الوجود إلى عينه؛ لأن الموجودات بأسرها لم تزل. موجودة له فى علمه وعلمه على الحقيقة عينه وعينه

علمه لأنه بذاته يعلم وبذاته يسمع وبذاته يبصر، ولو قلت يسمع بسمع ويبصر ببصر ويعلم بعلم.

قلنا إن ذلك العلم والسمع والبصر عين ذاته لا غيرها، فوجود العالم فى الظاهر الكونى إيجاده لهم فى بصره وهو عبارة عن إضافته تعالى نسبة وجودهم إلى بصره وهم قبل ذلك وبعده موجودون فى علمه غير مفارقين للعلم حال إضافة نسبتهم إلى عينه وغيرمفارقين لعينه حال إضافة نسبة وجودهم إلى علمه لأن عينه قراء علمه فلا يغيب عن شىء لكن إضافة نسبة الحق لهم إلى عينه أكسبهم الإيجاد العينى، فلو رفع عنهم هذه الإضافة لعدم العالم بأجمعه، فالعالم محفوظ بنظر الله تعالى إليه. وقد بينا ذلك بأوضح من هذا البيان فى كتابنا القاموس الأعظم والناموس الأقدم، فلنختصر على هذا القدر فى هذا الكتاب.

المرتبة الحادية والعشرون: الجوهر الفرد

من مراتب الوجود هى الجوهر الفرد لأنه أصل الأجسام فهو للأجسام بمنزلة الحروف للكلمة، وإن شئت قلت بمنزلة النقطة للحرف، وقد بينا ذلك فى كتاب النقطة، فالجوهر ذات قابلة للاتصال غير قابلة للافتراق، ولهذا كان الجوهر نهاية أمر

الأجسام في الافتراق والهلاك. فهلاك المركب انبساطه وتحليل اجزائه حتى يصير كل جوهر منه مفردا والجوهر قبل التركيب يسمى الجوهر الفرد وبعد التركيب يسمى الجوهر المركب وبعد انحلال التركيب وهو انبساطه يسمى الجوهر البسيط والجزى الذى لا يتجزى إذ لا يصح ذكر الجزء بغير اعتبار الكل وبعد الانحلال فالكل معتبر وهو المركب الذى قد انحل. فإذا علمت الجوهر فاعلم ان العرض عبارة عن احواله واوصافه وشئونه واحكامه إلى غير ذلك من اوصافه كلها فهى له اعراض متغايرة عليه مع الدوام إذ بقاء العرض زمانين محال وسبب ذلك ان العرض سمى عرضا لانتقاله من محل قابل للاعراض إلى محل آخر. والجوهر محل فرد لا يقبل انتقال العرض فيه بل لا يزال طارئا متنقلا عنه غير مجاور له هكذا على الدوام. وسياتى بيان استثناء هذه المسالة في المرتبة التى بعد هذه المرتبة عند ذكرنا تجديد خلق الخلق في كل آنٍ والله تعالى اعلم.

المرتبة الثانية والعشرون: المركبات وأقسامها

من مراتب الوجود هى للمركبات والمركبات تنقسم إلى ستة اقسام: مركبات علمية ومركبات عينية ومركبات سمعية ومركبات جسمانية ومركبات روحانية ومركبات نورانية .

١ - فأما المركبات العلمية فهى عبارة عن صور المعلومات فى العلم فإن كل صورة من صور المركبات مركبة فى العلم من صور وأجزاء وجواهرها حسبما هو موجود فى الخارج، وجميع ما يوجد فى عالم الخيال هو من هذا القبيل على ما فيه من الاتساع، ولهذا كان الخيال برزخا بين الروح والجسد؛ لأن صورة الخيال أجزاء كلها مأخوذة من عالم الحس وتركيبه وتصويره عالم الروح فصار ممزوج الحكم، مثال ذلك إذا صورت شجرة من زمردة خضراء لها ثمار من الياقوت الأحمر أحلى من العسل وألذ من النكاح وتكون هذه بقدر العالم مرات كثيرة طولا وعرضا وعمقا فأجزاء هذه الشجرة هى الزمردية والخضرة والحمرة والياقوتية والحلاوة والعسلية واللذة النكاحية، والعالم الذى قست به هذه الشجرة والطول والعرض، فكل هذه الأجزاء حقائق أمور موجودة فى عالم الأجسام تعقلتها وركبت بعضها مع بعض فى عالم خيالك، وهذا التركيب ليس فى قوة عالم الأجسام بل هو لعالم الأرواح، فظهرت لك تلك الشجرة فى عالم خيالك بواسطة عالم الأجسام وعالم الأرواح فليس هو ملحق بإحدهما، فلو كان من عالم الأجسام وحده لراتها الخلق ولما كان يمكن ان تكون، لأنك قلت بقدر العالم بمرات كثيرة،

ولو كانت من عالم الأرواح وحده لبقيت ببقاء الأرواح لكنها التحقت بالفناء بحكم الجسم عليها وتصورت لك ذلك التصوير بحكم الروح فيها فإن الروح واسعة. وهذا الذى ذكرناه لك هو سر ممتزج الأرواح بالأجسام؛ لأنها تكتسب بواسطة الجسم كمالات لا يمكنها أن تكتسبها إلا به. الا ترى إلى من ولد أعمى لا تعرف روحه كيفية الألوان ولا حسن الخلقة المكتسبة بالبصر فتذهب روحه وقد فاتها من الكمال هذا النوع من العلم بصنع الله تعالى وبقدر ما يجهل من صنعته يجهله، وكذلك من خلق أصم لا يعرف أخبار الأنبياء وما وردت به الشرائع فيموت وقد فاته هذا النوع من صنع الله تعالى وبقدر ما يجهل من مصنوعاته يجهله الكمال. وقد اكتسبت الكمالات بمالها من الجوارح والحواس غير السمع. فإذا فهمت سر الامتزاج بين الروح والجسد؛ فاعلم أن الخيال هو مثل عالم البرزخ الذى تكون فيه الأرواح بعد مفارقتها الأجسام إلى يوم القيامة لأنها لا فى دار الدنيا ولا فى دار الآخرة، وقد علمت بما ذكرنا المركبات العلمية.

٢ - وأما المركبات العينية فكالأعراض التى هى تتواتر وتتوارد على الجوهر وتشهد الأعيان لتلك الأعراض بقاء ووجودا

إذ ذلك البقاء هو مركب من أعراض كثيرة متواترة على الجوهر بالحقيقة، فالجوهر ايضا مخلوق فى كل نفس بحكم ذلك العرض خلقا جديدا فتتبدل الأجزاء بتبديل الكل، ولهذا قالت الطائفة المحققون إن العالم خلوق مع الأنفاس جديدا ويؤيد ذلك قوله تعالى (بل هم فى لبس من خلق جديد) الا ترى البخار المجتمع تحت الأرض كيف إذا لم يجد منفذا يتغير فيصير ماء رجراجا ثم إذا صار فيه استعداد وقابلية من الأرض صار زيبقا فتبدلت ذاته فصارت محدودة بحدودة ليست من حدود البخار ولا من حدود الماء، بل كل من البخار والماء والزيبق محدود بحد آخر ولكل حقيقة متميزة عن حقيقة الآخر، وهذا التغيير الذى وقع لو كان فى زمان واحد لشوهد عيانا كما يقع فى ماء الزاج والعفص، ولكن هذا التغير شيئا فشيئا بحيث الا تدركه الحواس، ولهذا التبس أمره على الخلق فصاروا فى لبس من خلق جديد، وهذه المركبات العينية تتركب بوجود أجزاء مجتمعة فى البصر فيشاهد الناظر شيئا واحدا لقوة المثلية فى الأجزاء والأعراض المختلفة المتواترة التى باختلافها تختلف ذات الجوهر عينه، وقد استقصينا الكلام فى هذا المعنى فى كتابنا الموسم (بحقيقة الحقائق التى هى للحق من وجه، ومن وجه للخلق) فلنقتصر من ذكر ذلك على هذا القدر فى هذا الباب، والله

الموفق لا رب غيره.

٣ - **وأما المركبات السمعية**: فالكلمة تتركب من حروف كثيرة يسمعها الشخص شيئا واحدا والنغم كذلك والألحان المسموعة من الأوتار مركبة من صوت الحرير والخشب والحديد والنحاس أو الجلد والشعر إلى غير ذلك من أنواع آلات الطرب وغيره حتى أن ضرب الكف على الكف مركب من صوت وقع كل واحد منهما على الآخر، فافهم.

٤ - **وأما المركبات الجثمانية**: فعلى ثلاثة أنواع وأعلاها هو الخط، وهو ما له البعد الأول وهو الطول لا غير وهو يتركب من جوهرين فصاعدا فإذا انضم جوهر إلى جوهر وتركبا حصل الطول لا غير وأوسطها هو الخط وهو ما له بعدان مجتمعان وهو الطول والعرض وهو يتركب من أربعة جواهر فصاعدا فيحصل من تركيب اثنين البعد الطولي. ومن تركيب اثنين البعد العرضي فيسمى سطحا وأسفل المركبات هو الجسم وهو ثلاثة أبعاد الطول والعرض والسمك بالنظر إلى فوق والعمق بالنظر إلى تحت وهو متركب من ثمانية جواهر فصاعدا وأول موجود في عالم التركيب الجثماني الفلك الأطلس وآخره الإنسان.

٥ - **وأما المركبات الروحانية** فاجزاؤها مركبة من العالم

الروحي، وكل جزء منها أمر حكمي باعتبار ونظر ولها جزء باعتبار ونظر يعرفها من شاهد ذلك العالم وعرف صورها وهذا أمر ليس أعجب منه وفي ذلك العالم ما هو أعجب من هذا، ولو أذن لي لبينت لك كيفية ذلك بالطف عبارة وأحسن إشارة في هذا المكان، ولكني مأمور بوصفه في كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فإذا قدر الله لي بفعل ما أمرني به رأيته في محله من ذلك الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦ - **وأما المركبات النورانية**: فهي الأجرام الفلكية المعبر عنها بالكواكب متركبة الأجزاء من العناصر الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكل كوكب منها حقيقة واحدة غير قابلة للتقسيم في نفس الأمر على ما شاهده الحس منها من الكبر والعظمة حتى أن الفلاسفة مجتمعين على أن الشمس بمقدار الدنيا مائة مرة ونيفا وستين مرة.

وقد أيد الشيخ محيي الدين بن العربي هذا وذكره في كتاب الفصوص، وقال فيه ما شابه هذه المقالة. وهذا أمر عجيب وهو أن يوجد موجود بهذا العظم لا يقبل التقسيم في نفس الأمر وإدراك هذا على العقل بعيد، ويلحق بهذه الأجرام الفلكية الأنوار الأرضية المركبة من وجود النار والهواء الممازج لها في

افقها بواسطة الدهن أو الشمع أو الحطب أو ما جرى مجراها، فافهم.

المرتبة الثالثة والعشرون : الفلك الأطلسي

من مراتب الوجود هي الفلك الأطلس وهي فلك وجودي عيني يدور تحت الكرسي وفوق بقية الافلاك التي يأتي ذكرها في مراتبها بعده، وقولنا وجودي تنبيها على أن الافلاك المذكورة قبله كالهبا والطبيعة وأمثالها كلها حكميات لا عينيات، وهذا الفلك إنما سمى أطلسا لأنه لا نجم فيه ولا كوكب فيه فليست له علامة يعرف بها مدة دورانه وقطعه للدايرة، وقد شاهدت في موضع من هذا الفلك فلكا صغيرا يدور سبعين ألف مرة في مدة طبق الجفن وفتحه، فسألت عن هذا الفلك الصغير فقيل لي هو فلك الآن يعني أن كل دورة من دورانه تسمى آنا وهذا الفلك الاطلس هو المحرك لجميع الأفلاك الدائرة بحركته، وحركته منبعثة من الطبيعة على نسق واحد ومشيئة واحدة، ولهذا دام بقاء العالم مدة طويلة بإرادة الله تعالى، ولو لم يرد بقاء العالم هذه المدة الطويلة لما جعل حركة الفلك الاطلس المحرك للأفلاك منوطة بانبعاث الطبيعة وهي لا تزال تنبعث إلى أن يشاء زوال العالم فتسلب الطبيعة الانبعاث

فيقف الفلك الاطلس، ويقف بوقوفه باقى الافلاك فتتناثر الكواكب وتقوم الساعة بامره ولو تكلمنا على كيفية ذلك احتجنا إلى طويل كثير ليس هذا المختصر محله.

المرتبة الرابعة والعشرون: فلك الجوزاء

من مراتب الوجود. فلك الجوزاء هو كوكب حكمى لا وجود له بعينه بل هو عبارة عن بعدين معلومين يكونان بين الشمس والقمر، فيسمى أحد البعدين راسا والآخر ذنبا، ففى احدهما تكون الارض مبسوطة بين جرم القمر وبين جرم الشمس فيمتنع القمر من قبول نور الشمس، فيكون خضوعه لان نوره من نور الشمس، وفى البعد الثانى يكون القمر مبسوطا بين الأرض وبين الشمس فيمنع الشمس ان يقع ظلها على الأرض كما يمنعها السحاب؛ فيكون كسوفها، ولو اردنا بيان كيفية ذلك لاشغلنا عليك الوقت بكثير من علم الحساب وهو فلسفة محضة فليكف هذا القدر من ذكر هذا المعنى.

وهذا الكوكب الحكمى إنما جعلوه فوق مرتبة فلك الأفلاك لأن الامور الحكمية اعلا مرتبة فى الوجود من الامور الموجودة الحسية وإن لا لكان موضع ترتيبها تحت فلك المكوكب لانه فلك البروج ولولاه لم تكن حكمية، والله عز وجل اعلم.

المرتبة الخامسة والعشرون : فلك الأفلاك

من مراتب الوجود، هى فلك الأفلاك وهو الفلك المسمى بالفلك المكوكب ومنطقة البروج فيه جميع الكواكب الثامنة والسيارة ما خلا السبعة الكواكب التى هى فى السبع سموات وإلا فجميع الأنجم والكواكب في هذا الفلك، ولهذا سمى منطقة البروج وفلك الأفلاك والفلك المكوكب، واعلم أن وجود النجوم فى أفلاكها كوجود الحوت فى الماء لكل نجم فى فلكه فلك صغير يدور فيه النجم وله قطب من جنسه يحفظه فى الفلك المكوكب كما يحفظ القلب الدولاب، وقد بينا كيفية السموات والأفلاك فى كتابنا الإنسان الكامل والله تعالى اعلم.

المرتبة السادسة والعشرون : سماء زحل

من مراتب الوجود هى سماء زحل وهو السماء السابع وجوهر هذه السماء أسود كالليل المظلم خلقها الله تعالى مقابلا للعقل من الإنسان وهى سما سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم مسافة دوره مسيرة أربعة وعشرين ألف سنة وخمسمائة عام.

المرتبة السابعة والعشرون : سماء المشترى

من مراتب الوجود هى سماء المشترى، جوهر هذه السماء

ازرق اللون خلقها الله تعالى مقابلا للهمة من الإنسان وهي سما سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم، مسيرة دورها مسافة اثنان وعشرون الف سنة وستة وستين سنة وثمانية أشهر والله اعلم.

المرتبة الثامنة والعشرون: سماء بهرام المريخ

من مراتب الوجود هي سماء بهرام وهي المريخ، خلقها الله تعالى مقابلا للوهم من الإنسان لونها احمر كالدم، وهي سما سيدنا يحيى صلى الله عليه وسلم مسيرة دورها مسافة تسعة عشر الف سنة وثلاثة مائة وثلاثة وثلاثون سنة ومائة وعشرون يوما.

المرتبة التاسعة والعشرون: سماء الشمس

من مراتب الوجود وهي سماء الشمس لونها اصفر كالذهب وهي قلب الأفلاك، خلق الله تعالى هذه السماء مقابلا للقلب من الإنسان، وهي سما سيدنا إدريس صلى الله عليه وسلم مسافة دورها سبعة عشر ألف وخمسمائة عام، والله أعلم.

المرتبة الثلاثون: سماء الزهرة

من مراتب الوجود: وهي سما الزهرة، جوهر هذه السماء أخضر اللون، خلقها الله تعالى مقابلا للقوة الخيالية من الإنسان

وهى سما سيدنا يوسف عليه السلام، مسيرة دورها خمسة عشر الف سنة وستة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما.

المرتبة الحادية والثلاثون: سماء عطارد

من مراتب الوجود هى لسماء عطارد، جوهر هذه السماء اشهب اللون، خلقها الله تعالى للحقيقة الفكرية من الإنسان، وهى سماء نوح عليه السلام، مسيرة دورها مسافة ثلاثة عشر الف سنة وثلاثمائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما.

المرتبة الثانية والثلاثون: سماء القمر

من مراتب الوجود هى لسماء القمر، جوهرها شفاف ابيض كالفضة خلقها الله تعالى مقابلا للروح من الهيكل الإنسانى وهى سماء آدم عليه السلام، مسافة دوره إحدى عشر الف سنة وقد ذكرنا فى الباب الثانى والستين من الإنسان الكامل عجائب وغرائب مما أودع الله فى السموات السبع فلنكتف بهذا القدر من ذكر السموات فى هذا المحل والله أعلم.

المرتبة الثالثة والثلاثون: الفلك الأثير

من مراتب الوجود وهى للفلك الاثير، وهى المسماة بالكرة

النارية اول ما تنبعث الحركة الفعلية فى عالم الكون والفساد من هذه الكرة بحسب ما يقتضيه العقل الفعال، وهو العقل العاشر، وكان هذا الفلك مؤثرا فى العالم الأرضى؛ لأنه حاو لأقوى الاستقصات الأربع إذ طبعه الحرارة واليبوسة والتاثير لهما فى الباقيات؛ لأن الحرارة أقوى من البرودة واليبوسة أشد من الرطوبة فجميع هذا الفلك هذين القسمين القويين من اقسام العناصر فصار مؤثرا.

المرتبة الرابعة والثلاثون: الفلك المأثور

من مراتب الوجود هى للفلك الماثور، وهى المسماة بالكرة الهوائية، وطبعه الحرارة والرطوبة فبواسطة الرطوبة تتاثر من الفلك الأثير وبواسطة الحرارة تؤثر فيما تحته، ونسخة هذه الكرة من الهيكل الإنسانى الدم، كما أن نسخة الفلك الذى فوقه منه الصفرا، كما أن نسخة الفلك المائى الذى تحته منه البلغم؛ كما أن نسخة الكرة الترابية منه السودا.

المرتبة الخامسة والثلاثون: الفلك المستأثر

من مراتب الوجود هى للفلك المستاثر، وهو المسمى بالكرة المائية طبعه البرودة والرطوبة. اعلم أن الله تعالى إنما جاور بين

كل فلك من هذه الافلاك وبين ما يليه إلا لنسبة بينهما جاور بين الكرة المائية والكرة الهوائية للرطوبة السارية فيهما، وجاور بين الكرة الترابية والكرة المائية للبرودة السارية فيهما، وبهذه النسبة يقع تاثير كل منهما فى الآخر ولا سبيل إلى ان يؤثر شيء فى شيء إلا بوجود نسبة بينهما، كما انه لا سبيل لان يجتمع شيء بشيء إلا لنسبة وهذه النسبة إما ذاتية وإما وصفية وإما فعلية وكل واحد من هذه الثلاثة إما لازمة وإما عارضة.

بعض الحكماء وبعض المجانين

حكى انه حكى عن بعض الحكماء أنه خرج يوما من بيته فاقبل إليه رجل من المجانين يقبل كفه، فقال فى نفسه ذلك لولا أن بينى وبينه نسبة لما جاء إلى وقبل كفى، فتامل فى مزاج نفسه فراى الغلبة فيه للطبيعة السوداوية، فقال من ها هنا كان نسبيا لى، فمكث مدة يعالج نفسه حتى اندفع عنه ذلك الطبع السوداوى.

ويحكى عن بعض العلماء انه رأى حمامة وغرابا مجتمعين فى مكان واحد فتعجب لذلك لعدم النسبة له بينهما فلما امعن النظر فيهما راى فى كل منهما عرجا فى رجله؛ فقال من

هذه النسبة حصل الاجتماع وتحت هذا علم كبير يلزم أن ينبه له.

المرتبة السادسة والثلاثون: الفلك المتأثر

من مراتب الوجود هى الفلك المتأثر، وهو المسمى بالكرة الترابية، ومحط ظهور التأثيرات الكونية، فكلما حصل فى الافلاك التى فوقها تاثيرا وتاثر ظهر فى هذه الكرة حكم ذلك التاثير والتاثر على نمط معلوم عند اهله، ولولا الخشية من التطويل والدخول إلى شىء معلوم الفلسفة؛ لشرحنا جميع ذلك وذكرنا أمهات المتأثرات؛ وبينا كيفية تأثير الشىء الواحد بتأثير من تأثر بعين ذلك الأثر وكيف يكون الشىء الواحد علة لوجود نفسه وهذا بخلاف ما يقتضيه العقل لأنه يستحيل فى حكم العقل أن يكون الشىء علة لوجود نفسه إذ لابد من تغاير العلة والمعلوم وأما عندنا فهذا لا يلزم، بل تارة يكون الشىء معلولا لعلة هو غيرها، وتارة يكون معلولا لعلة هو عينها وهذا أمر ذوقى يكشفه الله تعالى لمن يشاء من خلقه.

المرتبة السابعة والثلاثون: المعدن وأنواعه

من مراتب الوجود هى المعدن وهو على أنواع كثيرة وكلها

تختلف من الأبخرة والدخاخن الصاعدة من الأرض فى جوفها إلى خارج وقد بينا ذلك فى كتاب الألف وهو جزء من ثلاثين جزءا لحقيقة الحقائق فمن أراد ذلك فليطالع هناك وبالله التوفيق.

المرتبة الثامنة والثلاثون : النبات

هى النبات وهو الجسم النامى وهو انزل من المعدن بمرتبة وهو النمو لأن المعدن هو الجسم المركب من الجواهر البسيطة، ولهذا ذهب جمهور الحكماء إلى أن فى النبات روحا ومن ثم امتنعت طائفة البراهمة عن قطع الأشجار حتى أن الواحد لو احتاج إلى شوكة لم يقتلعها لأن مذهبهم يقتضى ان لا يؤذوا الحيوانات ولا ياكلوها فهم لا ياكلون حيوانا ولا يقتلونه ولو اذاهم ولا ياكلون ما يؤل إلى الحيوان كالبيض، ثم امتنعوا من قطع الأشجار لما فيها من النمو زعما ان لها روحا وان النمو إنما هو بواسطة الروح. وقد رايت فى بلادهم شجرة إذا قربت إليها لتمسكها تنقبض أوراقها أو تنكمش كأنها ذات روح. على انه عند المحققين ما فى الوجود شىء من المحسوسات إلا وهو ذو روح سواء كان معدنا أو نباتا أو حيوانا أو غير ذلك لأن الله تعالى يقول «وإن من شىء إلا يسبح بحمده» ولا يصح التسبيح إلا لمن له روح فكل شىء له هذه الروح التى هى مشهودة

للمكاشف ومخاطبة له وتسبيحها على أنواع بانت عجيبة من وجوه كثيرة فسبحان من يسبحه كل شيء بكل لسان. واعلم أن النباتات برزخ بين المعدنية والحيوانية لأن المعدن جامد على حال واحد والحيوان متحرك بالإرادة والنباتات برزخ بينهما لأنه يتحرك بالاختيار فهو جماد بنظر وغير جماد بنظر، فافهم.

المرتبة التاسعة والثلاثون: الحيوان

من مراتب الوجود وهى الحيوان وحده العقلاء بأنه الجسم النامى المتحرك بالإرادة، وهو عندنا عبارة عن الروح الممتزجة بالجسم لا غير فلو مزق الجسم وتلاشى وظهرت روحه فى عالم بحسب تلك الصورة التى كانت الروح ممتزجة بجسدانيتها سمينا ذلك الروح حيوانا على حسب ما هى عليه تلك الصورة إما فرس وإما إنسان وإما غير ذلك من أنواع الحيوانات واعلم أن الحياة على خمسة أنواع

النوع الأول: حياة وجودية وهى سائرة فى جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها، فكل موجود من أنواع الموجودات علويها له من هذه الحياة الوجودية حياة وهى عين وجوده وذلك ما تسميه الطائفة بالوجود السارى فى الموجودات

النوع الثاني: حياة روحية وهى الحياة الملكية لسائر الموجودات فى العالم الروحانى بالأصالة ولهذا كانوا باقين ببقاء الله تعالى لهم لأن الروح من حيث هى روح حياة محض وهو مناف للممات والهلاك وما ورد من زوال الملائكة بالصعق يوم الفنا الأكبر إنما هو بوجه واعتبار لا من كل الوجوه، فافهم. وهذه الحياة الروحية للحيوانات منها نصيب فهى لهم بحكم التبعية فليس لهم عقل معاشى، ولهذا زالت عنهم الحياة الدنيا وبقيت لهم الحياة الأخروية وبقا كل من الحيوانات في الدار الآخرة بحسب حياته، فمن كانت له حياة كاملة كالإنسان والجان بقا في الدار الآخرة ببقائها موجودا عيانا تاماكاملا ومن كانت حياته ناقصة كان موجودا فيها حكما لا غيبا

النوع الثالث: حياة بهيمية وهذه الحياة هي الحرارة والرطوبة الغريزتان الكامنتان في الدم الجارى فى تجاويف الكبد، وهو المعبر عنه من نفس الحيوانية. ولا يدخل عليك الغلط فيما تراه من عدم وجود الدم فى بعض الحيوان فإن له مادة تقوم مقام الدم حرارة ورطوبة وكذلك بعض الحيوان ليس له كبد وله عضو رئيسى يقوم مقام الكبد فيصرف الغذاء في جسمه كما يتصرف الكبد فى الأجسام الحيوانية.

النوع الرابع: حياة عارضة وهى الكملات الحاصلة بحسب الأمر الوارد عليه كالعلم فإنه حياة للجهل وكالربيع فإنه حياة للأرض وكوقوع نور الشمس على جرم القمر فإنه حياة له وكإشراق ضوء الشمس على وجه الأرض فإن ذلك حياة لها وهذا الأمر كثير جدا لا يمكن حصره.

النوع الخامس: حياة الهيئة الأصلية اللازمة التى هى من كل الوجوه وبكل الاعتبارات فى غاية ما يكون من الكمال فهذه أنواع الحياة فمن الموجودات ما فيه نوع واحد ومنها ما فيه نوعان وثلاثة وأربعة، وأما جمعها بالإحاطة الخمسة أنواع فإنه لا يكون إلا للإنسان الكامل فقط فهو حامل لجميع أنواع الحياة ولا يجوز أن يكون ذلك لغيره فالإنسان الكامل له مرتبة الجمع دون ما سواه وهذا أوان الكلام فيه والله تعالى أعلم.

المرتبة الأربعون: الإنسان وفائدة معرفة النفس

من مراتب الوجود هى الإنسان وبه تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق تعالى لظهوره الأكمل على حسب اسمائه وصفاته فالإنسان انزل الموجودات مرتبة واعلاهم مرتبة فى الكمالات فليس لغيره ذلك، وقد بيناه أنه الجامع للحقائق الحقية والحقائق

الخلقية جملة وتفصيلا حكما ووجودا بالذات والصفات لزوما وعرضا حقيقة ومجازا وكلما رأيته او سمعته في الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان أو اسم لحقيقة من حقائقه فالإنسان هو الحق وهو الذات وهو الصفات وهو العرش وهو الكرسى وهو اللوح وهو القلم وهو الملك وهو الجن وهو السموات وكواكبها وهو الأرضون وما فيها وهو العالم الدنياوى وهو العالم الأخراوى وهو الوجود وما حواه وهو الحق وهو الخلق وهو القديم وهو الحادث فلله در من عرف نفسه معرفتى إياها لانه عرف ربه معرفته لنفسه، وليكن هذا آخر الكتاب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم آمين آمين.

تعليق على المرتبة الأربعين

* مكانة الصوفية من سلفنا الصالح ممتازة في قول العقلاء، ونفوس أهل الصفاء ذوى الإيمان واليقين.

* لذوى القلم من أولئك الصوفية عبارات دقيقة لا تخرج عن الكتاب والسنة، وإن بدا للنظر المجرد، أو للقارئ فى أول وهلة أنها بعيدة عنهما، هذه العبارات الدقيقة عند محادثتهم تتجلى واضحة، وينوب اليوم عن محادثتهم مطالعة الكثير من

كتبهم المرة بعد المرة، مع حسن الظن بهم واعتقاد فضلهم، واستنزال بركاتهم، أما من سار سيرهم، وتمتع باستنشاق أسرار الحق فى مثل خلواتهم، وعاش راضيا بسننهم فإنه لا يصعب عليه قولهم، ويجد له لذة تتمتع بها روحه، على أن منهم من تصدى لحل رموزاقوالهم، وشرح المقامات التى تنقلوا فيها للسير إلى رضى ربهم، مثل الإمام الشعرانى، والعلامة سلطان العارفين العز بن عبد السلام، والإمام النابلسى، والعلامة المقدسى، فمراجعة ما كتب هؤلاء وامثالهم يعين على فهم كلام القوم جدا، ولا يفوتنا هنا ان نشير إلى انهم يعتقدون ان الخلق هو عين الخالق فتلك قضية لا تخفى على ذى عقل، وإنما هم يريدون أن الخلق وهو اثر الخالق دليل على الصفات التى تليق به جل وعلا، ولا محالة أن الإنسان وهو ذو الوجود الواضح بين الخليقة أجلى مظهر تجلى فيه مظاهر الصفات الإلهية كالقدرة والإرادة والإبداع، فإذا ما قالوا إن الإنسان قديم فلا يريدون ذلك الوصف الذى لا يليق إلا بالله تعالى، وإنما الكلام على حذف مضاف، أى هو اثر القديم او دليله.

* ولا يليق بمن فطروا على الحق وتحلوا بكريم الخُلق مع الخلق الا يكونوا كذلك مع الحق تبارك وتعالى، وهنا يحسن ان نذكر معنى كلمات الإمام الجيلى فى المرتبة الاربعين من مراتب

الوجود ليزول اللبس، فلا ينبذها إلا من كان قليل الإدراك فهو معذور، أو مكابر في الحق فهو مفتون.

* الغاية والمعنى لهذه الكلمات أن الإنسان قائم بحياة حقيقتها وعين ذاتها هي منه تعالى. إمدادا وإشراقا من غير حلول قديم في حادث بمنزلة ماء الجدول من البحر فهو ماء جدول باعتباره وماء بحر باعتبار أنه منه ومتصل به، ولله المثل الأعلى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ويرشدنا في هذه المسألة، قوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فالسجود راجع إلى الله تعالى في باطن الأمر وإن وقع لآدم في ظاهره، وليس الحكم بالظواهر في نظر المحجوبين عن معرفة الله من طريق الباطن وإن شئت تقريب ذلك بوجه ما وتمثيله ولله المثل الأعلى فانظر إلى نفسك العاقلة المجردة البسيطة (فمن عرف نفسه فقد عرف ربه) فإنك تجد فيها من الصفات ما لا يحصى من الحب والبغض والإرادة والكراهة والعلم والفطانة والجود والشجاعة إلى غير ذلك من الملكات النفسانية وبكلها توصف، وبجميعها تعرف، وهي على بساطتها وتجردها ما انثلمت بتلك الكثرة وحدتها محفوظة، مع كون تلك الكثرة منها منتزعة وفيها ملحوظة؛ وهذا شبح من المثال ضربناه لتقريب الأمر عليك وكسر سورة

الاستبعاد من ضيق المجال، وإلا فيجل ذو العظمة والجلال، عن ان تحكى عنه الأشباه أو تضرب له الأمثال.. اما باقى كلمات الإمام من أن الإنسان هو كل ما فى الموجودات وانه الأنموذج لكل ما تفرق فى العالمين المشهود والمغيب، فإليك عنه البيان.

السادة الصوفية

* السادة الصوفية يرون سبيل الإنسانية إلى مثلها العليا وعرة متشعبة المسالك تكثر فيها منعطفات مضللة، وصخور عائقة، هى من وحى الحضارات الدخيلة، على المسلمين، تلك الحضارات التى تدعوهم باخذ نصيب ضخم من الرفاهية المقرونة بافتتان العقل، وافتتان الشهوات فحاولوا اجتذاب المتأمل الجاد المستوعب فى القوة المهيمنة على القلوب والعقول، وهى المحبة التى هى أساس الأديان جميعها فحدثوه عنها كثيرا لكى تستيقظ فيه غرائز العطف والمحبة الكمينة والمعطلة فى قالبه، ولكنها لا تزول مطلقا، وأعلموه أنه الصورة الكاملة، والأنموذج التام لما تفرق فى الأرض والسموات وإنه العالم الصغير، لذلك العالم الكبير، وأنه جزء فى وحدة، هو المقصود منها، وان شئون الاتصال بالعوالم العلوية والسفلية بادية فى كون الإنسان فالضياء عنه الأنموذج.. ضياء البصر، والريح المصرف فى

الفضاء.. النفس، والليل المطلسم عنه غلغال الفكر.. وصندوق الصدر.. والشمس عنها العقل، والقمر عنه مادة الخيال، والنجوم السيارة عنها سوانح الخواطر، والمطر الدمع، والاخضلال الجامد.. الريق، والأفلاك.. أوتاد اللطائف أعني لطيفة القلب ولطيفة النفس ولطيفة الخفاء ولطيفة السر ولطيفة الأخفي.. هذا ما كان من نظريات العالم العلوى، وما كان من نظريات العالم السفلي. فكروية الأرض أنموذجها الراس، والجبال أنموذجها الشديان والصرة والركبتان. والنبات أنموذجه الشعر، ومركبات ذرات الأرض أنموذجها مادة الجسد، فكله مركبات، والمياه النابعة أنموذجها المخضلات التى ترشح عن البدن على اختلاف مواقعها وأنواعها، والأشجار وأغصانها أنموذجها الوجود وأجزاؤه من يد ورجل وأنامل. أما الاتصال المحض الجامع بين العالمين فأنموذجه في الوجود هو كل لطيف وكثيف، وآنه طلسم الليل حين يولج في النهار ويستدل ستر ظلامه على الذرات حيث يتصل بذات الوجود المفرد الآدمي، والنهار حين يولج فى الليل وينتشر ضياؤه على الحادثات، فكذلك يتصل بوجود الآدمى اتصالا محيطا، وكما اتصل هذا، وهذا به فقد اتصلا بكل ذرة كما بيناه، والهواء كذلك وهو مستمر الاتصال فإذا دقق النظر اللبيب، رأى هذا الاتصال العام الثابت حسا،

يلزم بصحيح الاتصال معنى، ومتى صح هذا المعنى انقطعت غوائل القطيعة، وصح الود وثبت الحب، وهنالك ترى العارف يريد النفع المطلق لكل ذرة بارزة أو مغيبة وها انت ترى ان هؤلاء الأجداد الأجلاء تركوا رسالتهم فى هداية القلوب وتاليف شتاتها فى ألفاظ تشيع فيها الأنوار والظلال والحركات والسكنات والآمال وكل ما كان يكتنفهم في اثناء حياتهم، وهم يكافحون من أجل هداية النفوس، هذه الرسالة مهمة شاقة لا يقوم بأدائها إلا أفراد قلائل ممن اوتوا الالهام وهبط عليهم وحى خاص وهذا هو السبب فى انك ما قرات كتب التصوف إلا وجدت بها حديثا خالدا، حديثا ترويه القرون، وكان لكل لفظة فيه (مخزن الكنوز) او (قارورة العجائب) وفى هذه الكتب نقلا كثيرا عن النصوص، وتصوير الذات الأرواح فى معارج الفهم عن الله ولم تكن لتخطئ هذه الكتب الحقيقة. حقيقة الدين فى نصه ونصوصه، كما لم يُدخل اصحاب هذه الكتب غريبا على الحقائق والمبادئ الإسلامية، ولم يخترعوا، غير أنهم فنانون ملهمون عباقرة، وأن أعمالهم الإنشائية بما فيها من تحليل الأخلاق وتصوير لعمق الأخاديد فى النفس البشرية ومن تصوير لما يجب ان تكون عليه الحياة طبق ماجاء به القرآن وللذة لم هو كائن بعد هذه الحياة، كان له أكبر الأثر فى تطهير النفوس

والسمو بها إلى مستوى أعلى.

* وإلى هذا الحد الذى وصلناه من الفهم عن كتب التصوف يجب علينا أن نتخذ مسلكا نشيطا تجاه المواضيع التى سندرسها من أقوال الصوفية، وأن نستعمل المعرفة الجديدة التى تنشأ من أقوالهم، والتى لم يكن فيها جديد إلا طريقة تعبيرهم عن المعروف المتداول بين المسلمين جميعا بأسلوب علماء الرسوم وذلك بأن نثير أسئلة عن النقط التى يتكلمون عنها فى كتبهم، وننظر ما هى الخطوات التى ستلى ذلك، وما هو اليقين الذى سيثبت عندنا ثم نراجعها على الحقيقة من كتاب الله، فنفكر ونتحدث ونكتب عن هذه التعابير وندعها تلعب دورها فى نشاطنا التعبدى، فإن وصلت بنا إلى الغاية التى يبتغيها الشارع. كانت ولا بأس بها.

على أن نفكر فى المعانى الضمنية والتوابع للأفكار والأساليب الجديدة التى حصلنا عليها من دراسة التصوف، ومن المؤكد أن جانبا كبيرا من الأوامر الإلهية ستظهر لنا واضحة جلية رغم وضوحها الأصيل، وتستقر فى ضمائرنا مع رغبتنا الشديدة المتلهفة على تنفيذها، مما يجعلنا نشعر بمتعة خفية وافتتان عجيب ثم يتدرج هذا النوع من الفهم والعمل إلى

جانب من التركيز فى حياتنا مع ما بواتينا من قوة التغلب على المكدرات دون ما حاجة إلى مجهود أو قوة وإرادة، والحق هو أنه كلما كبرت نسبة دراستنا لهذه الأقوال المشرفة فى الحب لله والتسليم له بالملكية لأفعالنا وأقوالنا لما يزداد به نفسه الإنسان لنفسه وبنى جلدته بل وللإنسانية فى جميع مشارق الأرض ومغاربها، إذ إنه مع مرور الزمن لن نكتسب الشوق الحقيقى لما نقوم به من عبادات ومجاهدات فقط، وإنما نكتسب ايضا الشعور والإحساس بأننا جزء من كل، هى وحدة المجموعة الكونية التى تستمد أصل وجودها من معين الحياة المنبثقة من تجليات الحق بالإيجاد كلما حاولنا أن نجعل ذلك جانبا نشيطا من تفكيرنا الدائم وهذا هو الذى حاولته الصوفية واثبتته فى كتبها.

الحمد لله تم كتاب

مراتب الوجود وحقيقة كل موجود

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

عنيت بطبعها ونشرها وتوزيعها

مكتبة القاهرة

علي يوسف سليمان

الرئيسي: ١٢ ش الصنادقية - الأزهر

الفـــرع: ١١ درب الاتراك خلف الجامع الأزهر

ص.ب ٩٤٦ العتبة - القاهرة

ت ٥٩٠٥٩٠٩

جمهورية مصر العربية

إشراف

محمد علي يوسف

رقم الإيداع : ٩٢٣٨ / ٩٩

ISPN

977 -

الفهرس